

مَرَوِيَّاتُ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَفَقْهَهُ " جمع وتصنيف ودراسة "

الأستاذ المشارك الدكتور
عبد الودود مصطفى مرسي السعودي
نائب مدير مركز بحوث المذهب الشافعي
والأستاذ المشارك بكلية الشريعة والقانون
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
سلطنة بروناي دار السلام

المجلد الأول
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
سلطنة بروناي دار السلام
1436هـ - 2015م

إصدار:

مطبعة جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

مركز البحوث والنشر

جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

سلطنة بروناي دار السلام

© عبد الودود مصطفى مرسى السعودي ٢٠١٥

الطبعة الأولى ٢٠١٥

جميع حقوق الطبع محفوظة. غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو تخزينه في أي نظام لحزن المعلومات واسترجاعها، أو نقلها على أي هيئة أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية، أو استنساخها، أو تسجيلها، أو غيرها إلا بإذن من صاحب حق الطبع.

الرقم الدولي 1-63-65-99917-978 (غلاف مقوى)

الرقم الدولي 8-64-65-99917-978 (غلاف ورقي)

تصميم الغلاف:

EZY Printing Services and Trading Company Sdn Bhd

سلطنة بروناي دار السلام

طبع من طرف:

EZY Printing Services and Trading Company Sdn Bhd

سلطنة بروناي دار السلام

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،، أما بعد:

فإليك - أيها القارئ الكريم - الطبعة الأولى من كتاب: **مرويات حمّاد بن زيد وفقهه: "جمع وتصنيف ودراسة"**، تصدرها جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، سلطنة بروناي دار السلام.

ويسعدني في هذا المقام توجيه جزيل الشكر والامتنان إلى جلالة السلطان الحاج حسن البلقية معز الدين والدولة ابن المرحوم السلطان الحاج عمر علي سيف الدين سعد الخير والدين، سلطان بروناي دار السلام، على تطبيق الشريعة الإسلامية في سلطنة بروناي دار السلام، وإقامة العدل والسلام في سلطنته، كما أشكره على رعايته للعلم الشرعي النافع، ورعايته لأهل العلم من العلماء والباحثين من أرجاء المعمورة كافة؛ فجزاه الله خير ما يجزي به عباده الصالحين الكرام البررة المحسنين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى سعادة الدكتور/ الحاج نور عرفان بن الحاج زينال، مدير جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى سعادة الدكتور/ محمد حسين بن فيهين الحاج أحمد ، نائب رئيس الجامعة ، وجزيل الشكر والتقدير إلى سعادة الدكتور/ أرمان بن الحاج أسمد ، مساعد رئيس الجامعة، لما بذلوه من جهود مخلصة في النهوض بالجامعة على المستوى الأكاديمي والعلمي والبحثي؛ كي تصل إلى صفاف كبرى الجامعات العالمية؛ فالله أسأل لهم التوفيق والنجاح والفلاح والقبول، وأن يكون هذا الجهد في ميزان حسناتهم يوم القيامة ورفعاً لدرجاتهم في الفردوس الأعلى من جنة الرحمن. اللهم آمين يا أرحم الراحمين.

ورغبة مني في النهوض بالجانب البحثي بالجامعة، أودعت هذا الكتاب لنشره في طبعته الأولى بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، و إني لأرجو أن يكون علمًا نافعًا ينتفع به في حياتي وبعد مماتي، وأن يبيض الله به وجهي، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وأن يكون عملاً خالصًا لوجهه الكريم.

وبالله التوفيق والهداية

والحمد لله رب العالمين فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

وكتبه:

أبو يوسف و عمر

سلطنة بروناي دار السلام

ذو الحجة 1436 هـ / سبتمبر 2015م

مقدمة

الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض وهو على كل شيء قدير . والصلاة والسلام على معلّم الناس الخير، محمد بن عبد الله ، الذي أوتي القرآن ومثله معه، وجعل الله طاعته من طاعته هو سبحانه ؛ فكانت سُنَّته - صلوات الله عليه وسلامه - بياناً للكتاب الكريم ، والمصدر الثاني من مصادر شريعة الإسلام ، فكان من قَبْلَ عن رسول الله ﷺ ؛ فَعَنْ الله قَبْلَ ، وبعد:

فإن الله . جلّت حكمته وتعلت قدرته . أنزل على رسوله ﷺ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثُمَّ وَكِلَ سبحانه إلى رسوله الأمين تبيان هذا الكتاب؛ فقال سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: 44) . والرسول ﷺ في بيانه للقرآن لا ينطق عن الهوى ؛ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم: 4) ؛ لذلك أوجب علينا طاعته ، وحذّرنا من معصيته ؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر: 7) ، فقلوه : (الرسول) دليلٌ على أن سُنَّته ﷺ يعمل بها ، ويتمثل ما فيها من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: 63)، فالأمر في قوله : (فليحذر) للوجوب ، والله ﷻ حذّر من مخالفة أمره ، فتوعّد بالعقاب عليها في قوله : (أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم) ؛ فتحرم مخالفته ﷻ .

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب: 21)، فهذه الأسوة الحسنة عامة وشاملة ،
فهي: أسوة في الأخلاق والعادات، أسوة في السلم والحرب ، أسوة في الجهاد والصبر، أسوة
في السياسة والحكم والقضاء، أسوة لا تغفل عن أي جانب من جوانب الرسول ﷺ، تلك
الحياة التي كانت المثل الأعلى والنموذج الكامل في كل شيء، ولن نستطيع أن نتأسى
برسولنا إلا كثرة على دراسة وافية بحياته ﷺ، ودراسة دقيقة وفقه حكيم لأقواله وأفعاله
وتقريراته ﷺ.

ولا غرو ، فإن العمل بالسنة هو عمل على حفظ كيان الإسلام ، وعمل على تقدمه
، وترك السنة هو انحلال الإسلام ؛ لقد كانت السنة هي الهيكل الحديدي الذي قام عليه
صرح الإسلام الشامخ . وهذا حق لا مرأى فيه ؛ فالسنة النبوية بمفهومها الشامل ، هي :
التصور العملي للإسلام ، والاعتصام بها هو اعتصامٌ بحبل الله المتين ، وعدم العمل بها هو
الخطوة الأولى لعدم العمل بالقرآن .

ولمّا كان للسنة النبوية هذه المكانة العظيمة ، عرف السلف الصالح للسنة قدرها
ومكانتها ؛ فرعوها حق رعايتها ، وحفظوها في الصدور ، وأودعوها سويداء القلوب ،
ودوّنوها في المصنفات ، وحكّموها في شؤنهم ؛ فكانوا بها مستمسكين ، وعلى نهجها
سائرين . وقد قام المسلمون من لدن الصحابة . رضوان الله عليهم أجمعين . بالعناية الفائقة
بسنة رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً ، ووضعاً للأسس التي تحفظها من تحريف الغالين وانتحال
المبطلين ؛ فكان بزوغ العلامات البارزة في طريق رعاية السنة النبوية وتوثيقها في القرن الثاني
الهجري ، وقد قيّض الله ﷻ أئمةً كباراً في هذا القرن ، قاموا بجهدٍ كبيرٍ ونصيبٍ وافرٍ في
توثيق السنة النبوية ، من أمثال الأئمة : ابن جريج (ت150هـ) ، وأبي حنيفة النعمان
(150هـ) ، والأوزاعي (156هـ) ، ومالك بن أنس (ت179هـ) ، والشافعي
(ت204هـ) ، وسفيان الثوري (ت161هـ) ، والحمّاديين: ابن سلمة (ت176هـ) ، وابن زيد

(ت 179 هـ) ... وغيرهم ممن وهب الله لهم البصائر النيرة والعقول الذكية، هذا فضلاً عن إخلاصهم وتقواهم لله ﷻ ، وحبهم وتفانيهم للرسول ﷺ .

بعض هؤلاء الأعلام دوّنوا السُّنة في مصنفات ، وبقيت مصنفاتهم محفوظة حتى وصلت إلينا ، كموطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أحمد ، ومسند الإمام الشافعي ... وغيرهم . وبعض الأعلام لم تصل مصنفاتهم إلينا، أو حفظت لكنها لم تصل إلينا بسبب أو بآخر ، من هؤلاء الأعلام الإمام حماد بن زيد ، لكن حفظت بعض مروياته في المصنفات الحديثية التي عُني أصحابها بجمع الأحاديث النبوية وتدوينها ، من أمثال : البخاري ومسلم ... وغيرهما .

لذا؛ كان موضوع هذا الكتاب عن: مرويات الإمام حمّاد بن زيد وفقهه: "جمع، وتصنيف، ودراسة". وقد قام الباحث بجمع مروياته من كتب الحديث الستة، وهي: صحيح الإمام البخاري (ت 256هـ)، وصحيح الإمام مسلم (ت 261هـ)، وسنن الإمام أبي داود (ت 275 هـ)، وسنن الإمام الترمذي (ت 279هـ)، والمجتبي من سنن النسائي (ت 303هـ)، وسنن ابن ماجه (ت 275هـ). محاولاً في ذلك تصنيف مروياته تصنيفاً فقهياً ، ثم دراسة تلك المرويات دراسة حديثية وفقهية، ثم جمع فقه الإمام حماد بن زيد من كتب الفقه المختلفة ، وتدوين ذلك كله في مدوّن خاصٍ يمكن للباحثين الرجوع إليه كمصدرٍ خاص بمرويات الإمام حماد بن زيد وفقهه ؛ مما قد يضيف جديداً إلى المكتبة الإسلامية عموماً، وإلى مكتبة مركز بحوث المذهب الشافعي وجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية خصوصاً.

أسباب اختيار الموضوع:

وجود فراغ كبير في المكتبة الإسلامية من حيث مصنفات بعض الأئمة الأعلام الذين أفنوا حياتهم لخدمة السنة النبوية ، من هؤلاء الأعلام : المحدث الفقيه ، حماد بن زيد ؛ فرغب الباحث في أن يسدّ هذا العجز أو يملئ هذا الفراغ .

وبالبحث عن هذا العلم وجد أنه رجل من رجال الصحيحين ، ولا تنطبق شروط الشيخين في رجل إلا ويكون محدثاً ثقة . كما وجد أنه من رجال السنن الخمس ، فهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي ، كما أنه من رجال مالك في الموطأ ، وأحمد في المسند .

رجل . كهذا . أجمع عليه أصحاب الكتب التسعة في الرواية ، لا بد وأن يكون جديراً بالدراسة ، وذلك باستقصاء مروياته ، ثم دراستها من حيث الإسناد ، والمتن . وبالبحث عن هذا المحدث وجد أنه فقيهاً ، وله آراء فقهية جديرة بالاعتبار ؛ لذا تحتم على الباحث جمع فقهه من كتب الفقه بفروعه المختلفة، وكتب الفقه المقارن، وكتب اختلاف الفقهاء.

وبالبحث عن مرويات الإمام حماد ، تبين أن حماد بن سلمة بن دينار يشاركه في الرواية عن كثير من التابعين ، وهو المقصود من قول أصحاب التراجم : (روي عن الحمادين) ، وبالبحث عن الأطروحات العلمية الجامعية ، وجدت رسالة تناولت حماد بن سلمة بالدراسة ؛ فكان ذلك دافعاً قوياً في تناول حماد بن زيد بالدراسة.

منهج البحث:

قد خطَّ الباحث لموضوعه منهجاً علمياً دقيقاً ، تتحدد معالمه فيما يلي:

- جمع واستقصاء مرويات الإمام حماد بن زيد من كتب الحديث الستة، وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، واللمحي من سنن النسائي، وسنن ابن ماجه.
- تصنيف الأحاديث تصنيفاً فقهياً، متبعاً في ذلك ترتيب البخاري . بقدر الإمكان . في ترتيبه للكتب الفقهية في الصحيح.
- وضع عنواناً لكل حديث؛ يدلُّ على الحكم الفقهي المستنبط من الحديث.
- وضع ترقيماً لكل حديث من أحاديث المرويات، متسلسلاً في الكتاب.
- دراسة تلك المرويات من زاويتين: من حيث الإسناد، ومن حيث المتن:

أولاً : دراسة الإسناد : وتشتمل الأمور الآتية :

أ . تخريج الحديث تخريجاً علمياً من كتب الحديث التسعة .

ب . التعريف بالرواة الذين اسندوا الحديث .

ج . الحكم على إسناد الحديث : من حيث اتصال السند من عدمه ، وبيان ما إذا كان السند مرفوعاً إلى الرسول ﷺ أم لا ، مع بيان الحكم على الحديث من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف .

ثانياً : دراسة المتن : وتشتمل الآتي :

أ . دراسة اللغويات الغريبة في الحديث : حيث تناول الباحث شرح اللغويات التي تحتاج إلى بيان .

ب . دراسة فقه الحديث : قام الباحث بعرض الأحكام الفقهية التي يدل عليها الحديث ، متوخياً في ذلك بيان المذاهب الأربعة ، معتمداً على كتب الفقه المذهبي المعتمدة ، كالمبسوط للسرخسي ، والمدونة لمالك بن أنس ، والأُم للشافعي ، والمغني لابن قدامة . مع بيان ما ذهب إليه هذا الرأي أو ذاك من الصحابة والتابعين وغيرهم من الفقهاء والمحدثين ، مستنداً إلى كتب الفقه المقارن واختلاف الفقهاء ، كالمجموع للنووي ، واختلاف العلماء للمروزي ، والمغني لابن قدامة ، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ، والموسوعة الفقهية الكويتية ، ومجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية . كما عرض البحث المذهب الظاهري في بعض الأحيان ، معتمداً على كتاب المحلى بالآثار لابن حزم الظاهري .

- جمع الآراء الفقهية للإمام حماد بن زيد من كتب الفقه بمذاهبه المختلفة ، ومن كتب اختلاف الفقهاء ، والفقه المقارن ، ناهجاً في ذلك المنهج المقارن ؛ فوضع البحث عنواناً للمسألة الفقهية، ووضَّح الرأي الذي ذهب إليه حماد بن زيد ، مع بيان من وافق رأيه من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين ، ثم ذكر أدلة هذا الفريق من الفقهاء . بعد ذلك عرض البحث للآراء الفقهية المخالفة لحamad ، مع بيان أصحابها، وبيان أدلتهم . والترجيح بين الأدلة، مع بيان الرأي الراجح ، وأخيراً عَرَضَ البحث لرأي الباحث .

● خطة الكتاب:

اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون خطة الكتاب في مقدمة ، وتمهيد ، ثم مرويات الإمام حماد بن زيد ، ثم فقه الإمام حماد بن زيد ، وخاتمة ، بيانها فيها هو آتٍ :

● المقدمة : وتحتوي على الأمور التي ينبغي أن تكون في المقدمات .

● التمهيد : وهو عبارة عن : ترجمة الإمام حماد بن زيد ، ويتضمن أربعة مباحث

:الأول: نبذة عن عصر حماد بن زيد من الناحية العلمية والاجتماعية . الثاني: اسمه ،

ونسبه ، ومولده . الثالث: طلبه للعلم ، وشيوخه ، وتلاميذه ، والتمييز بين الحمادين .

الرابع: مكانته العلمية ، وثناء الناس عليه ، وتعديله وتجريحه ، ودفاع العلماء عنه ، وفاته .

ثم مرويات الإمام حماد بن زيد ، وفقهه ، وتتضمن ستة فصول ، بيانها كالتالي :

● الفصل الأول : مروياته في العبادات : ويحتوي خمسة مباحث : الأول : مروياته

في الطهارة : ويحتوي سبعة عشر حديثًا (من رقم 1 الى رقم 17) . الثاني : مروياته في

الصلاة : ويحتوي واحد وأربعين حديثًا (18 : 58) . الثالث: مروياته في الزكاة : ويحتوي

ستة أحاديث (59 : 64) . الرابع : مروياته في الصيام : ويحتوي ثمانية أحاديث (65 :

72) . الخامس : مروياته في الحج : ويحتوي أربعة وعشرين حديثًا (73 : 96) .

● الفصل الثاني : مروياته في المعاملات : ويحتوي خمسة مباحث : الأول :

مروياته في الشهادات : ويحتوي حديثان (97 : 98) . الثاني : مروياته في البيوع :

ويحتوي تسعة أحاديث (99 : 107) . الثالث: مروياته في الرِّبَا : ويحتوي حديثًا واحدًا

(108) . الرابع : مروياته في الهبة : ويحتوي ثلاثة أحاديث (109 : 111) . الخامس:

مروياته في المساقاة والمزارعة : ويحتوي ثلاثة أحاديث (112 : 114) .

● الفصل الثالث : مروياته في أحكام الأسرة : ويحتوي خمسة مباحث : الأول : مروياته في الخطبة والنكاح : ويحتوي ثمانية أحاديث (115 : 122) . الثاني : مروياته في الصداق والوليمة : ويحتوي خمسة أحاديث (123 : 127) . الثالث : مروياته في الطلاق : ويحتوي أربعة أحاديث (128 : 131) . الرابع : مروياته في العدة : ويحتوي حديثاً واحداً (132) . الخامس : مروياته في الوصية والميراث : ويحتوي ثلاثة أحاديث (133 : 135) .

● الفصل الرابع : مروياته في الجنايات والحدود : ويحتوي خمسة مباحث : الأول : مروياته في الجنايات والجراحات : ويحتوي سبعة أحاديث (136 : 142) . الثاني : مروياته في الأيمان والندور : ويحتوي حديثان فقط (143 : 144) . الثالث : مروياته في الحدود والقسامة : ويحتوي ثلاثة أحاديث (145 : 147) . الرابع : مروياته في الديات : ويحتوي ثلاثة أحاديث (148 : 150) . الخامس : مروياته في القصاص : ويحتوي حديثان فقط (151 : 152) .

● الفصل الخامس : مروياته في الجهاد والأطعمة : ويحتوي خمسة مباحث : الأول : مروياته في المغازي والسَّير : ويحتوي أحد عشر حديثاً (153 : 163) . الثاني : مروياته في الغنيمة : ويحتوي حديثان فقط (164 : 165) . الثالث : مروياته في الأطعمة والأشربة : ويحتوي ثمانية أحاديث (166 : 173) . الرابع : مروياته في الصيد والذبائح : ويحتوي أربعة أحاديث (174 : 177) . الخامس : مروياته في الفضائل والجنائز : ويحتوي سبعة وستين حديثاً (178 : 244) .

● الفصل السادس : فقه الإمام حماد بن زيد : ويحتوي خمسة مباحث : الأول : فقهه في مسائل العبادات : ويحتوي خمسة مسائل . الثاني : فقهه في المعاملات :

ويحتوي مسألة واحدة. الثالث: فقهه في أحكام الأسرة : ويحتوي مسألة واحدة . الرابع : آراؤه في مسائل فقهية وعقائدية : ويحتوي سبعة مسائل . الخامس : السمات المنهجية لفكره الفقهي : وهي الأصول الفقهية التي اعتمد عليها حماد في فروع الفقه ، وهي : الكتاب ، والسنة الصحيحة ، والإجماع ، وقول الصحابي ، والقياس .

● الخاتمة : وتحتوي أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، وبعض التوصيات التي توصي بها الدراسة .

وبعد ،،،

فهذا عملي أبغي به وجه الله ﷻ ، فحسبي به صحيفة واحدة أبيض بها وجهي ؛ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . والله ﷻ أبي العصمة إلا لكتابه الكريم ؛ وإني معترف بأن عملي به هنات بعضها سهو وبعضها جهل ، أما الهنات الناتجة عن السهو ، فلم أجد أروع من عبارة القاضي : عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني ؛ معذراً عن كلام استدركه عليه ، حيث قال : " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم ، إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ؛ وهذا من أعظم العبر ؛ وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر !!! " .
وأما الهنات الناتجة عن الجهل ، فإني أسأل المنصفين . من ذوي الفضل والمعارف الواسعة والعلم الراسخ . أن يقابلوا ما يجدونه من جهل بالصفح ، وأن يسدّوا خلله بالترقيع لا بالقدح ؛ وأن يعلموني ما جهلت ، ويصححوا ما أخطأت .

فانظر إلى عملي . بحلمك . ثم قل : إنَّ القليل من المقلِّ ؛ كثير!

ولا غرو ؛ فإن العصمة والكمال لمن تفرد بالجلال ، وهو حسبي وعليه الاتكال .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود : 88)

تمهيد

ترجمة الإمام حماد بن زيد

ويحتوي المباحث الآتية:

- المبحث الأول: نبذة عن عصر حماد بن زيد من الناحية العلمية والاجتماعية.
- المبحث الثاني: اسمه، ونسبه، ومولده.
- المبحث الثالث: طلبه للعلم، وشيوخه، وتلاميذه، والتميز بين الحمادين.
- المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء الناس عليه، وتعديله وتجرّحه، ودفاع العلماء عنه، وفاته.

المبحث الأول

نبذة عن عصر حماد بن زيد من الناحية العلمية والاجتماعية

لمحة تاريخية:

معلوم أن الخلافة الراشدة انتهت عندما قام عبد الرحمن بن ملجم (1) بطعن سيدنا علي بن أبي طالب، وهو خارج من صلاة الفجر في مسجد الكوفة، وكان ذلك في رمضان من سنة 40هـ / 661م، ثم انتهى عهد الخلفاء الراشدين، وبعد ذلك خلف الحسن أباه علي قيادة الجند، فما لبث بتنازله عن حقه في الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان؛ على أن يعود الأمر بعد وفاة معاوية - شوري بين المسلمين، وكان ذلك عام 41هـ، وهو ما يسمى بعام الجماعة الأول، وعندئذ بدأت خلافة بني أمية. وبانتهاء الخلافة الراشدة بدء نظام جديد في الحكم؛ وهو نظام توريث الحكم، وأصبح - ولا يزال - نظامًا متبعًا حتى يومنا هذا، إذ عين معاوية ابنه يزيد خليفة بعده، وهكذا أصبح الخليفة يعين ولي عهده الذي يخلفه.

وسرعان ما انكسرت شوكة الأمويين، فأصبحوا عاجزين عن الدفاع عن سلطتهم، فجاءت دولة بني العباس، وكان ذلك على يد أبي العباس: عبد الله بن محمد بن علي... السفاح (2) الذي استطاع أن يصل إلى دست السلطة في منتصف ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة؛

(1) عبدالرحمن بن ملجم المرادي، أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة سيدنا عمر، وقرأ على سيدنا معاذ بن جبل، كان عابداً قانتاً، لكنه ختم له بشر، فصار من كبار الخوارج، وهو أشقى هذه الأمة؛ لقتله سيدنا علي بن أبي طالب، فقتله أولاد علي في رمضان من سنة أربع وأربعين من الهجرة. (راجع: الإصابة لابن حجر، ج5، ص109، تحقيق/علي محمد البجاوي، ط. الأولى، 1412هـ. 1992م، دار الجيل، بيروت، والطبقات الكبرى لابن سعد، ج3، ص4033، نشر دار صادر، بيروت).

(2) عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الأمة: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي العباسي، السفاح الخليفة أبو العباس، أول الخلفاء من بني العباس، كان شاباً مليحاً مهيباً أبيض طويلاً وقوراً، ولد سنة خمس ومائة، واستخلف وهو ابن سبع وعشرين سنة، ومات بالأنبار في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة. (راجع: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج6 ص77، وتاريخ بغداد للخطيب الغدادي، ج10، ص52.46، ط دار الكتب العلمية، بيروت).

فكان أول خليفة في الدولة العباسية التي حكمت البلاد ما يزيد على خمسة قرون من الزمان. وقد انقسم العصر العباسي إلى قسمين:

- العصر العباسي الأول : بدأ من سنة 132هـ / 750 م ، وانتهى سنة 232هـ / 843 م .
- العصر العباسي الثاني: بدأ من سنة 232هـ / 843م، وانتهى بسقوط بغداد سنة 656هـ / 1258م.

والذي يهمنا من هذه الملححة : هو معرفة العصر الذي عاش فيه الإمام حماد بن زيد ، فقد ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك ، الخليفة الأموي الذي تولى من سنة 96 . 99هـ، تولى بعده خامس الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبد العزيز ، الذي تولى من سنة 99. 101هـ.... ثم مات حماد في عهد هارون الرشيد الذي تولى من سنة 170. 193هـ. نستنتج مما سبق : أن حمادًا عاش ما يقرب من نصف عمره أبان الخلافة الأموية (98. 132هـ) ، وعاش بقية عمره في الخلافة العباسية (132. 179هـ). وفيما يلي الحديث عن هذه الفترة من الناحية العلمية، ثم الناحية الاجتماعية.

المطلب الأول

نبذة عن عصر حماد بن زيد من الناحية العلمية

قد استطاع الأمويون أن يضعوا أسس نهضة المسلمين الثقافية في هذه الفترة من ظهورهم على مسرح الحضارة العالمية، وأن يكتشفوا الينابيع التي تغذي هذه النهضة ، وتعمل على ازدهارها . ونجح بعض الخلفاء الأمويين في إعداد طبقة من المسلمين كانت العمدة التي شيد عليها صرح الحضارة الإسلامية ، وما حفلت به من ألوان العلم والعرفان. وقد كرس الخلفاء الأمويون جهودهم إلى تقوية الحكم العربي في دولتهم ، وذلك بتحويل كل شيء في جهاز تلك الدولة إلى العربية، وتعرف هذه السياسة الأموية (بالتعريب)، وهي من أهم الحركات التي شهدتها العصر الأموي.

وقد تركزت حركة التعريب في هذا الوقت المبكر على ميدانين هامين، أحدهما: تعريب دواوين الدولة، والآخر: تعريب العملة المتداولة بين أبناء هذه الدولة الشاسعة. واقتضى ذلك التعريب اللغوي: الذي خلق الانسجام بين طبقات المجتمع. والتعريب الإداري: الذي خلق الانسجام بين الوحدات الإقليمية للدولة. والتعريب العمراني: الذي خلق الانسجام بين معالم العمران في أقاليم الدولة.(1)

ويعتبر العصر الأموي عهد غرس بذور الدوحة العلمية التي أئنت زمن العباسيين، وقدمت ثماراً ناضجةً شهيةً للدولة الإسلامية، وجعلتها تؤدي رسالتها في مضمار الحضارة العالمية. وأهم مظاهر الحضارة في العصر العباسي هو ذلك النتاج الفكري الذي وصل إلينا من هذا العصر في أشكاله المختلفة سواء على مستوى العلوم الإنسانية: كالأدب والشعر والتاريخ... هذا فضلاً عن العلوم الشرعية، أم على العلوم التجريبية: كالطب والصيدلة والهندسة والرياضيات والفلك.... وغيرها.

وفي الحقيقة: أن العصر العباسي - بوصفه أطول العصور الإسلامية زمناً - كانت له ثمار طيبة في خدمة الحضارة الإسلامية من خلال المجال الثقافي، فقد كان للمدن الثقافية دور كبير في نشر الحضارة الإسلامية، ومن أبرز هذه المدن في العراق (عاصمة الخلافة): بغداد والكوفة والبصرة، التي شرفت بكثير من العلماء، من أمثال الحسن البصري والحمادين: ابن سلمة وابن زيد... وغيرها. ثم يأتي دور المؤسسات في نشر الثقافة ومراكز الحركة العلمية، فمن أبرزها: المساجد: التي كانت مصدراً للتوجيه الروحي، وساحة للعبادة، ومدرسة للعلوم، وندوة للأدب. والمكتبات: التي كانت لها أهمية قصوى في نشر العلم إبان هذا العصر. ثم الربط: وهي الأمكنة التي كان يربط فيها الفقراء من الصوفية؛ للعبادة والانقطاع ومجاهدة النفس، ثم أصبحت تؤدي خدمات دينية وعلمية واجتماعية.

(1) الدولة الأموية: مقوماتها ورسالتها، د/ إبراهيم العدوي ص 187، مكتبة الشباب. القاهرة. 1998م.

والخلاصة: أن العصر العباسي قد أثرى المكتبة الإسلامية بالمؤلفات التي أنتجت فيه، وذلك في مجال العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، ففي العلوم الإنسانية، وأشهرها العلوم الشرعية: فقد برز فيها جهابذة لا زال العلماء والباحثون عالّة على مصنفاتهم التي تفوق الحصر ؛ فقد كانت الثقافة الدينية . في العصر العباسي . نافذة تدخل منها سائر الثقافات ، وباباً لكثير من العلوم والأبحاث النظرية والروحية التي غاص فيها أهل المعرفة .(1)

وفيما يلي نبذة عن حركة علم الحديث في فترة حماد بن زيد:

نجد أهم مظهر من مظاهر الحديث . في نهاية العصر الأموي وبداية العباسي . مظهر التدوين ؛ فقد اختلفت الآراء حيناً من الصحابة بعضهم وبعض ، وبين التابعين ، هل من المصلحة جمع الحديث وتدوينه أم لا ؟ ثم ذهب الخلاف واستقر الرأي على تدوينه، وكان ذلك على يد سيدنا عمر بن عبد العزيز؛ إذ روي الإمام مالك في الموطأ: "أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (كان قاضياً على المدينة ت120هـ) : أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته ؛ فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ؛ وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر".(2)

وزاد البخاري على هذه الرواية : " ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً ".(3)

فمن هذه الروايات وغيرها ، نرى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق بأن يكتبوا الأحاديث ، لكن من ذا الذي كان له فضل السبق في تدوين السنن المشهورة على ألسنة

(1) قضايا ومواقف من التاريخ العباسي د/ هاشم عبد الراضي ص 298، دار النصر للتوزيع والنشر . القاهرة. 1977م.

(2) الموطأ ج1 ص 255، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي، القاهرة.

(3) صحيح البخاري : كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم؟ ج1 ص 49، تحقيق/ د. مصطفى ديب البغا ، ط. الثالثة، 1407 - 1987 ، دار ابن كثير، بيروت.

علماء الحديث وحققوا الأثر؟! هو الإمام المحدث الحافظ المحدث: محمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ) فهو أول من جمع الحديث على رأس المائة الأولى للهجرة بأمر من ابن عبد العزيز؛ فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح: "قال العلماء: وكره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث، واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً، لكن لما قصرت الهمم وخشي الأئمة ضياع العلم؛ دونوه، وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير، والحمد لله". (1).

هذا وكانت طريقته في التدوين تتبع وحدة الموضوع، فكانوا يجمعون في المؤلف الواحد الأحاديث التي تدور حول الموضوع الواحد كالصلاة مثلاً، بيد أنه لم يبلغنا شيء من هذه الكتب، والظاهر أن العلماء فيما بعد أدمجوها ضمن مصنفاتهم، لا سيما إذا كانت محفوظة لهم، كما هو الغالب عندهم. (2)

فلما جاء العصر العباسي وانتصف القرن الثاني، بدأ التأليف في الحديث كما بدأ في العلوم الأخرى، ووجدت هذه النزعة - إلى تدوين الحديث - في أمصار مختلفة وعصور متقاربة؛ ففي مكة جمع الحديث ابن جريج (ت 150هـ)، وفي المدينة محمد بن إسحاق (151هـ)، ومالك بن أنس (179هـ)، وفي البصرة سعيد بن أبي عروبة (156هـ)، والربيع بن صبيح (160هـ)، وحماد بن سلمة (176هـ)، وبالكوفة سفيان الثوري (161هـ)، وبالشام الأوزاعي (156هـ)، وباليمن معمر (153هـ)، وبخراسان عبد الله بن المبارك (181هـ)، وبمصر الليث بن سعد (175هـ)، وبواسط هشيم (188هـ). فنستنتج من هذا: أن الجمع بدأ في أوائل النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وأن الفكرة فشلت في الأمصار

(1) فتح الباري ج 1 ص 208. تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، 1379، دار المعرفة، بيروت.

(2) الحديث والمحدثون د/ محمد محمد أبو زهو ص 128، ط. دار الفكر العربي. القاهرة. 1378هـ.

المختلفة ، ومن الصعب تحديد أي مصر كان له السبق ، إلا إذا اعتبرنا ابن جريج في مكة كان أسبق هؤلاء العلماء موتًا ، فيكون . من ثمَّ . أسبقهم تأليفًا ، وربما قلَّد في ذلك.(1)

الخلاصة: أن نشأة العلوم . على اختلاف أنواعها من علوم دينية أو لسانية . تشترك في ظاهرة واحدة ، وهي : أن هذه العلوم كلها بدأت شفوية يتناقلها الناس بعضها عن بعض بالسماع ، ولا يعنى بالتدوين فيها إلا أفراد قلائل ، ثم بدأ التدوين يكثر شيئًا فشيئًا ، حتى أخذ العلم يركز ويكتمل.

وكان علم الحديث أساسًا لكل العلوم الدينية ؛ إذ تفرع عنه الفقه والتفسير وتاريخ السيرة وتاريخ الفتوح والطبقات ؛ وكان الحديث في أول الأمر يشمل كل ذلك.

وقد نشط العلم في أحضان العباسيين نشاطًا كبيرًا ، وإن كانت بذرة النشاط بدأت في أواخر العصر الأموي ، فالتأليف في العصر العباسي شمل كل فرع من فروع العلوم ، وعُدَّ المؤلفون والمؤلفات فيه بالمئات .

(1) الحديث والمحدثون ص 244، وضحي الإسلام للأستاذ / أحمد أمين ج 2 ص 107، ط . مكتبة الأسرة ، 1998، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة.

المطلب الثاني

نبذة عن عصر حماد بن زيد من الناحية الاجتماعية

كان العصر الأموي عهد تحول كبير في النظام الاجتماعي للدولة الإسلامية، بما يهيئ سيادة المواطنة الكاملة في ظلّ التعاليم الإسلامية السامية، وقد تجلت أولى معالم هذا التحول الاجتماعي في تخلي القبائل العربية عن كثير من مفاهيم البداوة ، لا سيما التي تحتقر بعض المهن ، ونزول أفرادها إلى ميدان الاشتغال بالزراعة التي كانت محرمةً عليه من قبل. وقد ترتب على هذا التحول الاجتماعي ضعف المفاهيم والروابط القبلية بالتدرج ، فلم يعد أفراد القبائل يخضعون لشيخ القبائل أو يتلقون منهم التوجيهات والأوامر ، وبدأت تظهر معالم اجتماعية تركزت في اشتداد سلطة عمال الدولة وتقليدهم مقاليد الأمور التي كانت مناطةً من قبل بشيوخ القبائل.

وقد صاحب استيطان القبائل العربية واشتغالها بالزراعة تحول اجتماعي كبير بين أبناء الدولة الإسلامية من غير العرب، اتخذ ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدن ؛ ذلك لأن الدين الإسلامي بدعوته إلى المساواة التامة بين المسلمين ، حرر الكثير من الفلاحين من أهل البلاد المفتوحة ، الذين سبق أن سقطوا في أغلال العبودية الاجتماعية والاقتصادية.(1) وقد تأثر المجتمع الإسلامي تأثراً ملحوظاً إبان التطورات السياسية والاقتصادية التي طرأت على العصر العباسي ، وتركت كثير من الأحداث السياسية بصماتها ، وانعكس صداها على المجتمع؛ فكان أمشاجاً من الأجناس البشرية ، منها ما كان موجوداً بطبيعة الحال كالعرب ، ومنه من نزع إلى العراق (عاصمة الخلافة) على فترات متعاقبة كالفرس والديلم والأتراك وغيرهم. كل هذه العناصر من المجتمع كانت تتعايش تعايشاً أقرب ما يسمى بالتعايش السلمي ؛ حيث كانت تتعاون وتتصارع وتتطاحن وتتزوج ، كما كان المجتمع يضم المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئة.

(1) الدولة الأموية ص 215 وما بعدها.

وقد عاش المجتمع الإسلامي إبان هذا العصر مكوناً من طبقتين رئيسيتين، إحداهما: طبقة الخاصة: وكانت تضم الخلفاء والأمراء والوزراء والقضاة والولاة وكبار العلماء والفقهاء والأثرياء وكبار التجار. والأخرى: طبقة العامة: وكانت تضم فقراء التجار والمزارعين وأرباب الحرف، فضلاً عن طائفة المعدمين والفقراء.

وأرى من المفيد أن أذكر أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر العباسي: عاش الخلفاء والأمراء . وجلّ طبقة الخاصة . حياة كانت في مجملها بعيدة عن المنهج الإسلامي الأمثل الذي يتميز بالوسطية (1) ، وهذا أمر كان له انعكاسه على بقية طوائف المجتمع .

استغلت الطبقة الخاصة من ذوي النفوذ والسلطان . بما كان لها من قوة وسيطرة . الطبقة العامة أقصى استغلال؛ إذ كانت أشبه بعصابة تواطأت على انتهاب أموال الرعية . كان ثمة رخاء اقتصادي نسبياً ، لا يشمل إلا طبقة الخاصة ؛ مما جعلها تنعم بملذات الحياة من طعام وشراب ومسكن وملبس.....إلخ.

لا شك أن وجود مثل هذه الظواهر الاجتماعية المتناقضة يكفي لتمزق عرى المجتمع وزعزعة أركانه والتباعد بين طبقاته ، وجدير بهذا الاختلاف الشديد في النواحي الاجتماعية أن يكون خليقاً بإفراز مظاهر اجتماعية متباينة ، وأيديولوجيات متناقضة ؛ إذ كان المجتمع آنذاك . بين منعم ومحروم ، وقورٍ ومستتهتر ، متدينٍ وملحد ، متفائلٍ ومتشائم.(2)

فأيُّ حضارة التي تعبر عن البذخ والترّ³ف والرفاهية المفرطة . التي عاشها الأمراء وذوو النفوذ على مرّ العصور ومختلف هذه الأزمنة والأمكنة . والإغراق في الماديات والحسيّات !! ثم متى

(1) أقصد بالوسطية: البعد عن الترف والبذخ والإسراف من جهة، وعن المبالغة في الزهد والتقشف من جهة أخرى.

(2) قضايا ومواقف من التاريخ العباسي ص 186 وما بعدها.

كانت مظاهر البذخ والترف رمزًا للحضارة التي نطلق عليها (حضارة إسلامية) !!؟ أليس الإسلام أبعد ما يكون عن مثل هذه المثالب الاجتماعية !!؟ الحقيقة . التي لا مرء فيها . أن ثمة فرقًا كبيرًا بين قيم ومفاهيم الحضارة الروحية التي تعتبر الحياة الدنيا مجرد جسر إلى الآخرة ؛ حيث الخلود والبقاء ، وحيث تظهر ثمرات العمل الصالح ، وبين الحضارة المادية المحدودة في العالم الطبيعي ، حياة الإنسان فيها قصيرة وفانية ؛ فالحضارة الإسلامية . في حقيقتها . تدعو إلى ضرورة التمسك بالقيم والخلاق الإسلامية السامية !!!